الأهرام

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

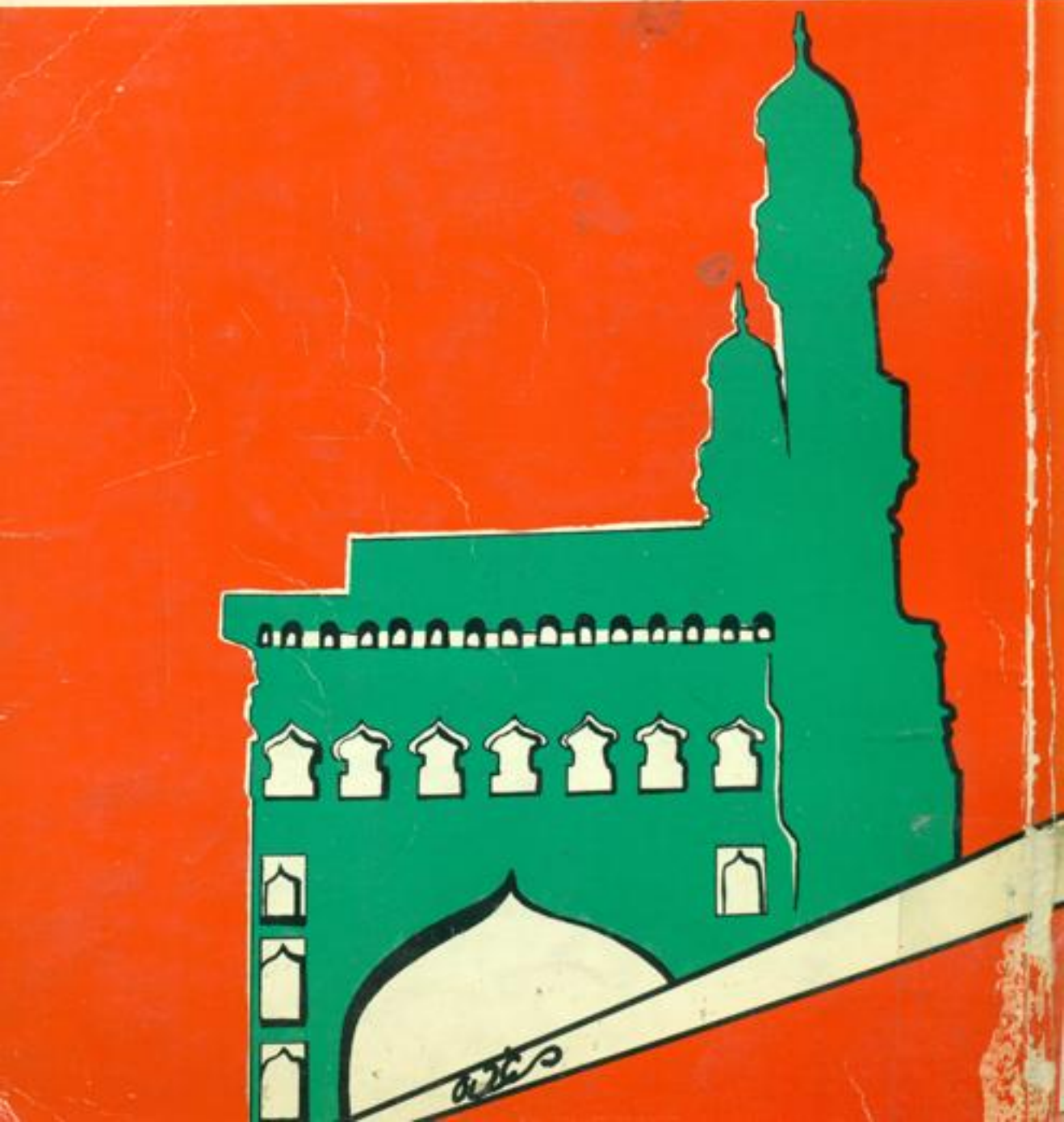

من الماضي القريب

عقود الجمان

في مدائح سلطان مسقط وعمان

هذه قصيدة من عدة قصائد قدّمها الشاعر العربي الخالد الذكر عبد المسيح الانطاكي ، بين يدي السلطان العربي الراحل فيصل بن تركي ، وكان الانطاكي قد وفد عليه عام ١٩٠٧ ولقي بين أهل عمان كل مودة وترحاب واطلع خلال زيارته على شؤون البلاد واحوالها فارتسمت في ذهنه صورة قائدها وجاشت قريحته بما جادت تحية للسلطان المبرور وثناء على العمانيين الاكارم ، والانطاكي من اعلام العرب الذين نبغوا في أواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين ، واشتهر بأدبه وشعره ورحلاته وكتاباته الصحفية ، وكان ممن لازم المرحوم خزعل سلطان عربستان ، ومن بين نتاجاته (القصيدة العلوية) في حياة الامام علي بن أبي طالب عليه السلام في حدود خمسة آلاف بيت على قافية واحدة ، توفي الانطاكي عام ١٣٤١هـ عن عمر يناهز الخمسين عاماً .

أما ممدوحه المبرور سمو السلطان فيصل بن تركي بن سعيد بن سلطان البوسعيدي سلطان مسقط وعُمان ، فقد ولي يوم مات ابوه (سنة ١٣٠٥هـ ١٨٨٨م) وكان أوسط اخوته سناً ، وممن عرف بحسن سيرته وسياسته وحزمه مع الرعية واخلاصه لعمان وشعبها ، ومولده ووفاته بمسقط ، وقد أحبه رعاياه ومجاوروهم من العرب وبلغ صيته وشجاعته القبائل العربية ، ولهذا المعنى أشار الأنطاكي بقوله :

سمِ (ابن تركي) في العراق ونجده تسلمْ وسرْ فيه بكل توغل
قد ذاع حمدك في المشارق والمغا رب في الحضارة والقبيل الرحّل

وقد توفي عن نحو خمسين عاماً وذلك سنة (١٣٣١هـ ـ ١٩١٣م) ، والواقع ان والده الجليل السلطان تركي بن سعيد (المتوفى سنة ١٣٠٥هـ ـ ١٨٨٨م) كانت له المساعي الموفقة لاستقرار السلطنة في حقبة من تاريخها ، وكان قد رحل منها في ايام تملك ابن أخيه سالم بن ثويني ، واقام في الهند الى ان صار الأمر إلى (عزّان بن قيس) فعاد الى مسقط واستطاع ان يظفر بسلطنة البلاد بعد جهود حثيثة ومعارك كثيرة حتى وفاته .

وآل (أبو سعيد) من العشائر الشهيرة في الجزيرة العربية تنتمي الى قبيلة تميم ، واشتهر منهم الكثير من الامراء والقادة منهم السيد احمد بن سعيد بن سلطان بن الامام احمد بن البوسعيدي الازدي العماني (المتوفى ١١٩٦هـ) سلطان زنجبار وعمان وحفيده سالم بن سلطان ، ومحمد بن سالم ، وثويني بن سعيد بن سلطان والامام سعيد بن احمد البوسعيدي[1] وكان الاخير شاعراً أيضاً ، ومن شعره :

هفي على عيش مضى ماذقت أحلى منه شي
لما ذكرت عهوده جرت الدموع وقلت أي

واذا كانت قبيلة آل بوسعيد قد وفقت لتولي السلطنة واقامة البناء الشامخ للدولة العمانية الحديثة ، فلا ينكر أيضاً دور القبائل العمانية الاخرى التي ساهمت مع قبيلة آل بوسعيد في صد الغزاة والطامعين ولعبت دوراً بارزاً في شتى مراحل التاريخ العماني ومن تلك القبائل :

قبيلة بني رواحة ، وبني طي ، وآل وهيبه ، والجنبه ، وبني ريام ، وآل سعد ، والدروع ، وبني هناءة ، والحرث ، وبني بو علي ، والحجريين ، والرحبيين ، وبني عكاش ، والعوامر ، وبني بوحسن ، وجابر ، وخروص ، وغافر ، وحراص ، والعبريين ، والشحوح ، وبني كلبان ، وبني عمر ، والحواسنه ، والسيابيين ، وكندة ، وبني وهيب ، وشكيل ، وآل حبس ، وآل نبهان وغيرهم .

ولعلنا نعود الى هذا الموضوع فنوفيه حقه من البحث والدراسة ، فلنرجع الآن الى ذكر قصيدة الانطاكي التي وسمها بعقود الجمان ، وفيها صورة مشرقة من حياة السلطان فيصل وجهاده واصالته العربية ، فهي بحق ذكرى بطل فذ من آل (أبو سعيد) وحياتهم الحافلة بالمكرمات :

سرْ بي الى مغنى الحبيب الاحفلِ سر بي الى ذاك المقام الأفضلِ
واطوِ الفيافي والقفار وجزْ سُهُو ل الارض مع عثرات هام الاجبل
وخُض البحارَ ولا تخف أمواجها بسبيل من تهوى وانت المبتلي
فالعاشقُ المفتون لايخشى المنو ن اذا رأى فيها رجا المستقبل
في قرب جمل ربة الحسن التي عزتْ منازلها على المتأمّل
حسناءُ كان جمالها من صنعة الـ ـخلاق دون تصنع وتجمل
كحلاءُ كحل عيونها خلقٌ بها من غير ماكحل وغير تكحل
نجلاءُ نبل لحاظها تصمي القلو بَ وكمْ لها قتلى بتلك الانبل
لمياءُ في معسول عرف رضابها تحيا النفوس الهالكات وتجتلي

* السلطان الراحل تركي بن سعيد
(مجموعة الطريحي)

* السلطان العربي الراحل فيصل بن تركي ، وعن يمينه السلطان تيمور بن فيصل ، وعن يساره ابن عمهم السلطان علي بن سالم بن ثويني ، ويجلس امامهم الامير شهاب بن فيصل
(مجموعة الطريحي)

هيفاءُ في خطراتها خطرٌ اذا ... خطرت بميل قنا القوام الأعسل
عربيةٌ ما أفسد الافرنج من ... سامي معزّتها بهون تسفل
بدوية بطباعها ماشانها ... شين الحضارة في الفعال السفّل
عزّت فهان على الورى بذل النفو ... س اذا أرتضتْ فيها بكل تذلل
من دونها الاموال وهي منيعةٌ ... هيهات ليس لقربها من موصل
أحببتها طفلاً وهمت بها فتىً ... غرّاً بغير تفكرٍ وتأمل
واذعت مابين الورى في حبها الـ ... ـمدمي الفؤاد تشببي وتغزلي
وقد استهنتُ بما تقولُ لوائمي ... في حبها وبشؤم عذل العذّل
متمثلاً في من قضى قبلي من الـ ... ـعشاق دون تألمٍ وتململ
مستشهداً بسبيل من أهوى وكم ... للحب من شهداءِ هجرٍ مذهل
ياجملُ اني في هواك معذّبُ ... فترفقي في ذا المحبّ وأجملي
وسلي النجوم فانني في ذا البعا ... د سميرها وعن الجوى لاتسألي
أُحيي الليالي ساهراً متململاً ... بلقاكِ لكن خاب فيكِ تعللي
فصلي محبُّك ياجميلة قبل أن ... أقضي أسىً في هجرك المضني صلي
أو هل علمت بأنَّ حسنك فاتني ... ونبال لحظك قد أصابت مقتلي
فاذا أردت لي الحياة ففي اللقا ... واذا أردت لي الهلاك فعجلي
من أجل حبك قد تركتُ مواطني ... وضربتُ في عرض الفلاة الاطول
وقد احتملتُ مشقة الاسفار مع ... أخطارها ما كان فوق تحملي
وأجزت هاتيك المصاعب والمتا ... عب في سبيلك فأعتني لتوسلي
كعناية الملك الجليل الأريحـ ... ـي المرتجى ربّ المعاليَ فيصل
سلطان مسقط. صاحب الامر الذي ... ساد الورى بسماحةٍ وتفضل
وامام أرض عمان مولانا الهما ... م المحسن الجوّاد افضل مفضل
ملك العلا في فضله وجلاله ... وفخاره متن السماكَ الأعزل
قد صان عن اهل المطامع ملكه ... فغدا بسامي مجده في معقل
وبه لقد مدّ العمارُ رواقه ... فترى ضرائبهُ أنجلت في مأهل
أحيا البلاد بحكمه وبعدله ... باقامة الشرع الشريف الاعدل
وجلا المظالم والمغارم عن مما ... لكه بحز القادر المتزّمل
وبظل سطوة بأسه عم الاما ... نُ بكل معلم ملكه أو مجهل

حتى لقد عاش الخروف مع الذئا ب منعماً باقامةٍ وترحل
وبفضله اغنى العباد عن السحا ب وفضله مثل السحاب الهطل
يولي النضار بغير ماطلب ولا مَنٍ ولا وعد البخيل الممطل
يلقى العفاة ببشره وينيلهم فوق الذي يرجونه من مأمل
لم يُبق في املاكه من معوزٍ يشكو الزمان ولا فقير معول
كفل العباد عطاؤه وسخاؤه لله درُّ أبيه من متكفل
هو كعبة الآمال تقصده الوفو دُ وعنده تلقى أماني السول
وببابه أزدحم العفاة وقد رأوا بسخائه المنشود عذب المنهل
تلقاه في يوم السلام وقد تبـ ـسم للعفاة الجم الكثير الاجزل
يعطي الالوف لطالب الاحسان والـ ـمعروف عن كرمٍ ولو لم يُسأل
وتراه في يوم الحروب غضنفراً يفني العدو بيمين شهم ابسل
ان ساق للحرب العوان جيوشه بشر اعاديه بهلك أعجل
يلقى الالوف بسيفه وجواده ويبيدهم بشجاعة المستبسل
هابته اعداه وخافت بطشه واتته خاضعةً بكل تذلل
سّمِ أبن تركي في العراق ونجده تسلمْ وسرْ فيه بكل توغل
وأقطع فيافي العرب والاعجام في سامي وجاهته وكن بالاعزل
وأأمن من الدهر المخيف وجوره مادمت في نعماهُ بالمتظلل
مولايَ ياملك الاعارب قد ملكـ ـت قلوبنا في فضلك السامي الجلي
قد ذاع حمدك في المشارق والمغا رب في الحضارة والقبيل الرّحل
وسموت بالتقوى وبالاحسان والـ ـمعروف والحسنى فأرضيت العلي
والمصطفى أرضيته بمآثرٍ غراء فيها قد غدوت المعتلي
ونصرت شرعة أحمد الهادي على ماجاء في آي الكتاب المنزل
وبحسن حزمك قد رفعت الشرَّ عن حوض البلاد بحسن حل المعضل
فلأن أهني المسلمين بفضلك الا سمى أهنيهم بشهم أمثل
ولأن أهني الدين فيك فانه فيك استعاد سنا الفخار الأول
انتَ الامام وقد امت الناس للـ ـحسنات في مرضاة اكرم مرسل
فأهنأ فديت بمجدك الاسنى الذي قد حلَّ في العلياء أفضل منزل
مولاي من مصر اتيتك مادحاً آثارك الغرا وانت معوّلي

فـلانـت يـاربّ المـفـاخـر منـيـتي ولأنـت يـاربّ المـآثـر مـوئـلي
فـأسلم ودمْ فخراً لكـلّ مـوّحـدٍ وأسـلمّ ودمْ ذخـراً لِكـلّ مؤمّـل

* * *

(١) هؤلاء بعض من توفرنا على مطالعة أخبارهم ومدائحهم فيما بين أيدينا من الكتب المخطوطة ومنها : السلك الفريد في مدح السيد الحميد ، والفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين ، وكشف الغمة الجامع لأخبار الأئمة ، ونرجو أن نوفق لإعطاء صورة واضحة عن هذه المخطوطات وغيرها فيما يخص عمان وتاريخها وآثارها وتراثها وتراجم أعلامها ، في الأعداد القادمة بإذنه تعالى .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

غرر الحكم ودرر الكلم

من كلام

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

تأليف

القاضي تاج الدين أبي الفتح عبد الواحد بن محمد

ابن عبد الواحد التميمي الآمدي

المتوفى نحو سنة "٥٥٠هـ/١١٥٥م"

تحقيق

محمد سعيد الطريحي

دار القارئ

طباعة . نشر . توزيع

بيروت ـ لبنان